كونية الإسلام عند محمد شحرور

The Universality of Islam by Mohammed Shahrour

بوشافة الميلود

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الفلسفة،

جامعة مصطفى اصطمبولي، معسكر

تاريخ الاستلام: 2020/08/21 تاريخ القبول: 2020/09/13 تاريخ النشر: 2020/12/30

الملخص:

يبدوا أن موضوع حوار الأديان الذي سعى إليه الكثير من رجال الدين وحتى المفكرين المعاصرين قد شكّل بعمق مشكلة، تشعّبت مواضيعها واختلفت سواء من حيث المعنى أو التوظيف، نظرا لاتّساع مجال فكر المنظومات الدينيّة والتمسّك المفرط بالمعتقدات المشكّلة للإيمان الثابت عند كل طرف. من خلال هذا حاول محمد شحرور تقديم رؤية جديدة معاصرة للتنزيل الحكيم أشاد فيها بعالمية الإسلام وكونيته كدين يحوي الجميع، وذلك من خلال إعادة النظر في مفهوم الإسلام والإيمان في الموروث الإسلامي، محاولا بذلك تشكيل خطاب إسلامي عالمي يتّسع لغير المسلمين.

الكلمات المفتاحية : حوار الأديان، الدين، كونيّة الإسلام، الإيمان، محمد شحرور.

Abstract:

The subject of interfaith dialogue sought by many clerics and even contemporary thinkers seems to have been deeply problematic, with its themes mixed in both meaning and employment, given the widespread field of religious systems' thinking and excessive adherence to the beliefs that form the unwavering faith of each party.Through this, Mohammed Shahrour tried to present a new contemporary vision of the wise download, in which he praised the universality of Islam and its universality as a religion that contains all, by rethinking the concept of Islam and faith in the Islamic heritage, thus attempting to form a global Islamic discourse that expands to non-Muslims.

Key words: Interfaith Dialogue, Religion, Universality of Islam, Faith, Mohammed Shahrour.

- **بوشافة الميلود، طالب دكتوراه، miloud.bouchafa@univ-mascara.dz,**
مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم.

مقدمة:

شكل المشروع المعاصر لمحمد شحرور ظاهرة فكرية كبيرة، فقد ساهم من خلال قراءته المعاصرة للتنزيل الحكيم في إرساء قواعد جديدة في المنظومة الإسلامية، حاول من خلالها تجديد الفقه الإسلامي وما يتعلق بالأصول والعقيدة والأحكام، متجاوزا بذلك الموروث الديني وناقدا له في الوقت نفسه، قاصدا ومحاولا إيجاد حل للمشاكل التي تتعرض لها الثقافة العربية الإسلامية نتيجة تدني المستوى الثقافي والسياسي والإقتصادي والسياسي...

وعلى هذا الأساس وإيمانا منه بأنه لا سبيل إلى الخروج من براثن التخلف والتقوقع إلا بالرجوع إلى المصحف الشريف وإعادة قراءته بنظرة معاصرة، كان سعيه الحثيث في إعادة النظر في الكثير من المفاهيم الموجودة بين دفتي المصحف، ومكتشفا الفرق بينها كما هو الحال في مفردة (كتاب/ قرآن) و (الإسلام / الإيمان) وغيرها، مما كان يمثل مفهوما واحدا في الموروث الديني.

سنحاول في بحثنا هذا الوقوف عند نقطة من نقاطة، ويتعلق الأمر بالإسلام، حيث حاول محمد شحرور تقديم رؤية جديدة معاصرة للقرآن أشاد فيها بعالمية الإسلام وكونيته كدين يحوي الجميع، وذلك من خلال إعادة النظر في مفهوم الإسلام والإيمان في الموروث الإسلامي، محاولا بذلك تشكيل خطاب إسلامي عالمي يتّسع لغير المسلمين.

ومن أجل إعطاء الموضوع حقه من الدراسة والتحليل حاولنا الإنطلاق من الإشكالية التالية: هل يمكن فعلا الحديث عن إسلام عالمي كوني يتسع لغير المسلمين؟

وهذه الإشكالية بدورها قادتنا إلى طرح الأسئلة الجزئية التالية:

كيف نظر محمد شحرور إلى الإسلام؟ وهل الإسلام هو الإيمان؟ وهل استطاع فعلا تأسيس خطاب إسلامي عالمي كوني؟

1- في مفهوم الكونيّة:

قبل التطرّق إلى مصطلح الكونية، لا بد لنا من ذكر أهم المصطلحات المرتبطة به، وأهمها:

- مصطلح "الكون" وهو من الفعل كَوَنَ " الْكَافُ وَالْوَاوُ وَالنُّونُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ حُدُوثِ شَيْءٍ، إِمَّا فِي زَمَانٍ مَاضٍ أَوْ زَمَانٍ رَاهِنٍ. يَقُولُونَ: كَانَ الشَّيْءُ يَكُونُ كَوْنًا، إِذَا وَقَعَ وَحَضَرَ"[1]، ويعرّفه الجرجاني بقوله:"

[1] ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج5، د ط، دار الفكر، 1399هـ -1979م، ص148.

عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث إنه حق، وإن كان مرادفًا للوجود المطلق العام عند أهل النظر، وهو بمعنى المكون عندهم"[2].

وهو أيضا "الْوُجُود الْمُطلق الْعَام وَاسم لما يحدث دفْعَة كحدوث النُّور عقب الظلام مُبَاشرَة"[3]، وقيل هو "حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها. والكون تغيّر من لاشيء إلى شيء"[4]، وقد عرفه جميل صليبا بقوله:" هو المنسوب إلى الكون من جهة ماهو كل"[5].

وقد أخذ مصطلح الكونية معان متعددة عبر التاريخ نذكر منها:

- الكونيّة في الفكر المعاصر هي: "تعبير عن عالم جديد يتخلق منذ سنوات في خفية عن الأعين ولم تتضح معالمه إلا منذ عقود قليلة. وهذا العالم الجديد يعبر عن روح جديدة للعصر القادم في القرن الحادي والعشرين، وهي التي يطلق عليها حركة ما بعد الحداثة"[6].

- أما من جهة نظر الدين تعتبر "الكونيّة" مبدأ يؤكّد على أن جميع الناس يخضعون لإرادة ورعاية الخالق، وتؤكّد أيضا على أنّ الكون تحت تصرّف الخالق، كماأنها فكرة قائمة على أساس التقارب بين الأديان وتتخذ وضعيّة تسامحيّة في هذا المجال. ومن تلك المدارس الديانات السماوية الثلاث، الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة. فهي فكرة تقوم على أساس أن الدين واحد وهو الإسلام جاء إلى كافة العالمين، مبدأه العام توحيد الله والمساواة والقيم الإنسانية العليا.

2- المنهج اللغوي عند محمد شحرور:

اعتمد محمد شحرور على منهج لغوي خاص في قراءته للقرآن الكريم استمدّه من مدرسة أبي علي الفارسي والتي استخلص قواعدها من نظريتا ابن جني والجرجاني، وهما نظريتان متتامتان تعبّران عن نظرية لسانية واحدة، من مبادئها إنكار الترادف.

لا سبيل عند محمد شحرور إلى القول بكثرة المفردات وسعة التعبير في اللغة وخصوصا إذا تعلق الأمر بكتاب الله، فهو خال من اللغو والحشو، فلا يمكن حذف كلمة منه دون أن يختلّ المعنى ونفس الشيء بالنسبة للتقديم والتأخير، وعليه فلا يمكن أن يكون فيه الترادف في ألفاظه وتراكيبه، لأن الترادف

---

[2] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات،ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م، ص188.

[3] صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ج2، د ط، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م، ص 248.

[4] الحفني، عبد المنعم. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص693.

[5] مصطفى، إبراهيم وآخرون، القاموس المحيط، ج2، دط، دار الدعوة، ب س، ص806.

[6] السيد، يسين.الكونيّة والأصوليّة وما بعد الحداثة، ج2، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996م، ص192.

في نظر محمد شحرور "مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها ألفاظ تلك اللغة تعبّر عن التفكير القائم على إدراك المشخّص ولم تكن فيها التسميّات الحسّية قد استكملت بعد تركيزها في تجريدات"[7].

إن إنكار محمد شحرور للترادف هو الذي فتح الباب أمامه من أجل إعادة النظر في الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة في الموروث الثقافي الإسلامي، لأن العقل العربي الإسلامي عنده هو عقل قياسي ترادفي، ولهذا بقي حبيس مكانه لا يعرف الحركة والتطور، نتيجة الترسّبات المذهبية الراسخة في العقول، فالأمر يستدعي إعادة خلخلة ورسكلة للمفاهيم التي ظلّت سائدة طوال قرون عند جمهور المفسّرين والفقهاء واللغويين والتي ظلّت راسخة في العقل القياسي الإسلامي.

3- رؤية محمد شحرور للإسلام:

يعرّف الجرجاني الإسلام في كتابه التعريفات على أنه الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر الزمخشري أيضا أن "أن ما يكون الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب، فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان"[8].

ويعرّفه ابن قتيبة كذلك بأنه:" الدخول في السّلم، أي: في الانقياد والمتابعة. قال تعالى: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً [النساء: 94] أي: انقاد لكم وتابعكم... فمن الإسلام متابعة وانقياد باللّسان دون القلب. ومنه قوله تعالى: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا [الحجرات: 14]"[9].

أما محمد شحرور فيرى أن لفظ " الإسلام" من بين المفاهيم التي أساءت الثقافة الإسلامية فهمه واستخدامه، فهو من ضمن الأصول التي يجب إعادة النظر فيها، فقد فُهم بصورة سطحيّة نتيجة الترادف من جهة وعدم التركيز على المدلول الحقيقي لها من جهة أخرى، من منطلق أن الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام في الموروث الديني، يقول ابن حزم "الْإِسْلَام هُوَ الْإِيمَان وَقد وَجب قبل بِمَا ذكرنَا أَن أَعمال الْبر كلهَا هِيَ الْإِسْلَام وَالْإِسْلَام هُوَ الْإِيمَان فأعمال الْبر كلهَا إِيمَان وَهَذَا برهَان ضَرُورِيّ لَا محيد عَنهُ"[10].

---

[7] شحرور، محمد. أمُّ الكتاب وتفصيلها، قراءة معاصرة للحاكمية الإنسانية تهافت الفقهاء والمعصومين، ط1، دار الساقي، بيروت، 2015، ص109.

[8] الزمخشري، أبو القاسم محمود. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407ه، ص376.

[9] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص262.

[10] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص109.

وهو الأمر الذي جعل من محمد شحرور الوقوف عند المعنى الحقيقي لكل من كلمة " الإسلام"، "الإيمان " الواردتان في القرآن، مستعملا منهجه اللغوي، حيث استقرأ جميع الآيات التي وردت فيها لفظ الإسلام والمسلمون والمؤمنون، وتوصل من خلاله بأن الإسلام سابق عن الإيمان، فليس بالضرورة كل مسلم مؤمن، وأن المسلم ليس بالضرورة من أتباع محمد ﷺ، "فالإسلام يقوم على مسلّمة الإيمان بالله ووحدانيته وباليوم الآخر"[11]، وهذه المسلّمة قادته إلى أن جميع الناس متساوون في الإيمان بالله واليوم الآخر، فالجن ونوح وإبراهيم ولوط ويعقوب والأسباط ويوسف وسحرة فرعون والحواريّون كانوا مسلمين "ولم يعاصروا محمد ﷺ ولم يشهدوا برسالته ولم يصوموا رمضان، مما يجعلنا نجزم بأن الإسلام والمسلمين لا علاقة لهم بالرسالة المحمديّة ولا بغيره من الرسل والأنبياء السابقين، بل ذلك مرتبط حصرا بالله ووحدانيته. فكل من آمن بالله واليوم الآخر (وهي مسلَّمة) كان مسلما، بغض النظر عن الرسول الذي يتّبعه، وعن التسمية التي نطلقها عليه"[12]، ويستدلّ على قوله بالآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة، 62). ولم يقف الأمر عند هذا بل كل ما دان به الإنسان من أحكام مدنيّة وأخلاقية والذي يتجلى في الإحسان الذي ينعكس على الفرد والمجتمع هو الإسلام عنده. أما الإيمان عند محمد شحرور " هو التصديق بنبوّات الأنبياء ورسالات الرسل كل في زمنه. فهناك مسلمون صدّقوا بنبوّة نوح أو هود أو موسى أو عيسى أو محمد (ص) وكلهم يؤمن بالله واليوم الآخر، رأس هذا التصديق بنبوّة محمد (ص) هو شهادة أن محمد رسول الله . أركانه هي الشعائر (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)"[13] ، ومنه يكون الإسلام عام والإيمان خاص.

وبهذا يكون محمد شحرور قد فرّق بين الإسلام والإيمان، مُقراّ بأن الإسلام غير الإيمان. وأنّ شهادة أنْ "لا إله إلا الله" هي تذكرة الدخول إلى دين الإسلام مهما كانت ملّة الإنسان. والإسلام يُبنى على العمل الصالح بعد الإيمان تسليماً بوجود الله وباليوم الآخر، ولا علاقة له بصلاة وصوم وزكاة وحج، فكل هذا يعتبر من الإيمان الذي هو خاص بأتباع النبي محمد ﷺ. وهذا يعني أن الإسلام ليس خاص بأتباع النبي محمد ﷺ فقط.

على هذا الأساس نجد محمد شحرور يوسّع من دائرة الإسلام معتبرا أنه دين كوني، من منطلق أن الله رب السماوات والأرض أسلم له جميع من في السماوات والأرض طواعيّة وكرها ووحّدته، وهو الإسلام

---

[11] شحرور، محمد. الإسلام: الأصل والصورة، ط1، طوى للثقافة والنشر والإعلام لندن، 2014، ص 183.

[12] شحرور، محمد. الإسلام الأصل والصورة، مصدر سابق، ص184

[13] شحرور، محمد. تجفيف منابع الإرهاب، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة لبنان، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع سورية، 2008م، ص49.

بمفهومه الواسع الذي يقرُّ بوجود الله، وهذه الرؤية التي أسسها شحرور تقترب كثيرا من رؤية ابن عربي الذي يرى أن الإسلام هو الدين الكوني الذي تشترك فيه جميع الأديان التي دعت إلى التوحيد والأخلاق الفاضلة، وهو ما عبر عنه في كثير من شعره كما في كتابه فصوص الحكم.

فإذا كان ما تقدم هو الإسلام عند محمد شحرور، فماهي أركانه التي يقوم عليها؟

إذا كانت أركان الإسلام كما ثبتت في السنة في حديث ابن عمر المشهور، قال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"[14]، فإن الإسلام عند محمد شحرور يقوم على" ثلاث دعائم هي الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح"[15]، تظهر من خلال قول الله عز وجل في الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(فصلت، 33)، ومن خلال هذه الآية يحاول محمد شحرور أن يجد مخرجا لإشكالية حوار الأديان، ولو أن الأمر عنده لا يستدعي الحوار أصلا من خلال وقوفنا على مفهوم الإسلام عنده، إلا أن المتتبع لفكره واستطراداته يلمح ذلك.

ومهما يكن، فإن الإسلام باعتباره ذو طابع كوني يشمل الإنسانية جمعاء، فإن القاسم المشترك بينهم جميعا ولاسيما أهل الكتاب منهم (اليهودية، المسيحيّة، الإسلام) هو الفرقان.

4- الفرقان والأديان السماويّة:

جاء في تأويل الطبري لكلمة فرقان بأنه "الفرقُ بين الشيئين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك بقضاءٍ، واستنقاذٍ، وإظهار حُجَّة، ونَصْرٍ، وغير ذلك من المعاني المفرِّقة بين المحقّ والمبطِل. فقد تبين بذلك أنّ القرآن سُمّي "فرقانًا"، لفصله -بحججه وأدلَّته وحدود فرائضه وسائر معاني حُكمه- بين المحق والمبطل. وفرقانُه بينهما: بنصره المحقّ، وتخذيله المبطل، حُكمًا وقضاءً"[16]، وهذا يعني أن القرآن هو الفرقان، وجَرَت جميع التأويلات لكلمة الفرقان على هذا المنحى في التراث الإسلامي. إلا أن محمد شحرور قدّم تصوّرا آخر جديد يختلف عماّ هو متداول في الموروث الإسلامي، فقد فرّق بين اللفظين " الفرقان " و " القرآن" من منطلق قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة، 185)، فماهو الفرقان عند محمد شحرور؟

---

[14] أبو الحسن القشيري، مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص45.

[15] شحرور، محمد. الإسلام الأصل والصورة، مصدر سابق، ص185.

[16] الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن،تح: أحمد محمد شاكر، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ص99.

تتبّع شحرور لفظ "الفرقان" في القرآن فوجد أنه تكرّر في ست مواضع، حيث جاء الفرقان لموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، "فالفرقان الذي أنزل على موسى هو نفسه الذي أنزل على النبي ﷺ في رمضان"[17]، وهذا يعني أن الفرقان غير القرآن ؛ إذ هو جزء من أم الكتاب، و هو " الوصايا العشر التي جاءت إلى موسى وثبتت إلى عيسى عليهما السلام ثم جاءت إلى محمد ﷺ. وهي رأس الأديان السماويّة الثلاثة وسنامها لأنها القاسم المشترك بين الأديان الثلاثة"[18]، وهي ثابتة لا تتغير في الزمان والمكان، فهي تمثل مبادئ وأخلاق إنسانية عامة في الإسلام، مشتركة بين الديانات السماوية. وهذه الوصايا العشر جاءت مرتّبة في القرآن في آخر سورة الأنعام في قوله تعالى﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام، 151-152-153)، وتمثل هذه الوصايا الفرقان والصراط المستقيم الذي ينبغي على المسلم أن يتّبعه وهي سبيل الهداية، وهي القاسم المشترك بين الناس جميعا، ومن ترك هذه الوصايا أصبح من الضالين.

يتّضح إذن أن الإسلام عند محمد شحرور دين عام يشمل كل أهل الأرض يقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر أولا، والمثل العليا والقيم الإنسانيّة ثانيا، وهذا ما يفسّر لنا أن " الإسلام ليس دين الرسالة المحمّدية فقط، بل دين جميع الرسالات والرسل والأنبياء، وأن المسلمين ليسوا أتباع محمد (ص) حصرا، كما هو سائد اليوم، بل هم كل من آمن بالله واليوم الآخر وعملا صالحا والتزم بصراط المثل العليا المستقيم "[19]، فهي وصايا أخلاقية إنسانية عامة ترسم للإنسان ما ينبغي أن يسلكه ويفعله فهي "القانون الأخلاقي الناظم للعمل الصالح فنجدها مقبولة ومتفقا عليها عند أهل الأرض قاطبة بغض النظر عن الدين والمذهب والعرق واللسان"[20].

---

[17] شحرور، محمد. الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، د ط، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،سورية، 1990م ، ص64-65

[18] المصدر نفسه، ص 66.

[19] شحرور، محمد. الإسلام: الأصل والصورة، مصدر سابق، ص187.

[20] المصدر نفسه، ص111.

5- النقد:

إن فكرة الكونية التي دعا إليها محمد شحرور بدت مشلولة منذ ولادتها من عدة نواحي، ومن أهم المآخذ التي يمكن تسجيلها هي:

- إن التصوّر الذي انطلق منه محمد شحرور في تأسيس رؤيته للإسلام هو مجرّد دعوة إلى وحدة الأديان بثوب معاصر رغم أنه يتحاشى هذا اللفظ وهذه الدعوة من أساسها.

- إذا كان ما يدعو إليه محمد شحرور يسمى خطابا إسلاميا عالميا معاصرا موجه إلى المسلمين سيّما إذا تعلق الأمر في "رؤيته للإسلام"، فإن الذي ينبغي عليه هو أن يجعل خطابه كوني يشمل جميع الديانات ليتبيّن له من هم المسلمون عنده حقيقة، وعليه يبدو أن محمد شحرور عمل على تفكيك الخطاب الإسلامي فقط، متجاهلا الخطاب الغربي، فليس المناخ الفكري العربي الإسلامي هو وحده المستهدف بالنقد، وإنماالمناخ الفكري الغربي أيضا له دوغمائيته التي تحرّكه، فالنصارى يرفضون اليهود باسم الدين، واليهود يرفضون النصارى أيضا.

- إذا سلّمنا بمنطق محمد شحرور القائل بأن الإسلام غير الإيمان، و شهادة أن " لا إله إلا الله" هي تذكرة الدخول في الإسلام فإننا نكون متناقضين إذا أسقطنا هذه الشهادة على الديانات الأخرى من اليهودية والنصرانية، على اعتبار أن اليهود والنصارى اختلفوا، حيث قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله وأنكروا نبوة محمد ﷺ وهو الشرك بعينه المنافي للإسلام، فكيف تكون مسلما وأنت تشرك به ولا تؤمن برسله!

- إن اعتبار كل الملل الدينيّة من الإسلام وهو وحدة واحدة، هو قول كثير من المتصوّفة قديما كابن عربي وغيره الذي وصفه محمد شحرور بأنه حوّل الإسلام إلى مهزلة، فها نحن نرى قوله قريب من قول ابن عربي الذي قال:

صار قلبي قابلاً كل صورة* فمرعى لغزلان وديراً لرهبان

وبيتاً لأوثان وكعبة طائف * وألواح توراة ومصحف قرآن

- إن الدين الذي ارتضاه الله لعباده هو دين الإسلام والذي لا يقبل سواه وهو دين الأنبياء والرسل جميعا ولا خلاف في ذلك، أما أن يكون الإسلام دين اليهود والنصارى الذين بدلوا وغيروا فهو نوع من العبثيّة والسفسطة، وقد جاء القرآن مكذبا لدعواهم في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(آل عمران، 67).

- الخاتمة:

في ضوء ما سبق نستطيع القول أن محمد شحرور استطاع أن يحل مشكلة التمييز بين الأديان والتي ظلت ملازمة للفكر الإسلامي التقليدي، فجل قراءته المعاصرة للخطاب الإسلامي هي محاولة لتصحيح مسار الفكر عند المسلمين قصد التعامل مع كل أهل الأرض قاطبة باعتبارهم مسلمين مهما اختلفت شعائرهم الإيمانيّة، فالعبرة بالإسلام عند محمد شحرور لا بالإيمان، ولتأسيس خطاب إسلامي كوني لا بد من إعادة ترتيب الأولويات فقط ووضع كل شيء في مكانه ونصابه.

قائمة المصادر و المراجع:

1- المصادر:

- شحرور، محمد. الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، د ط، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1990م.
- شحرور، محمد. أمُّ الكتاب وتفصيلها، قراءة معاصرة للحاكمية الإنسانية تهافت الفقهاء والمعصومين، ط1، دار الساقي، بيروت، 2015م.
- شحرور، محمد. تجفيف منابع الإرهاب، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة (لبنان)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع (سورية)، 2008م.

2- المراجع:

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، د س.
- ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج5، ب ط، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، ب ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو الحسن القشيري، مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، ب ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن،تح: أحمد محمد شاكر، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.
- صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ج2، ب ط، دار الكتاب اللبناني، 1982م.
-الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات،ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م.
الحفنى، عبد المنعم. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي- القاهرة، 2000م.
- السيد، يسين.الكونيّة والأصوليّة وما بعد الحداثة، ج2، ط1، المكتبة الأكاديمية- القاهرة، 1996م.
مصطفى، إبراهيم. وآخرون، القاموس المحيط، ج2، د ط، دار الدعوة، د س